مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبر ١١: ٣٣–٤٠؛ ١٢:١–٢)

يا إخوةُ إنَّ القدِّيسينَ أجمعين بالإيمان قهَروا الممالكَ وعمِلوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّة النارِ ونجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضُعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذَتْ نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامةِ. وعُذِّبَ آخرون بتوتير الأعضاءِ والضَربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزء والجَلْدَ والقيودَ أيضاً والسجن* ورُجِموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف. وساحوا في جلودِ غَنَمٍ ومَعَزٍ وهم مُعوَزون مُضايقون مجهودون* ولم يكن العالم مُستحقاً لهم. فكانوا تائهينَ في البراري والجبالِ والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهوداً لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِدَ* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئاً أفضلَ

أحد جميع القديسين

-

«لذلك مَنْطِقوا أحقاءَ ذِهنِكم صاحينَ فألقُوا رجاءكم بالتَّمامِ على النِّعمةِ التي يُؤتى بها إليكم عند استِعلانِ يسوعَ المسيح. كأولادِ الطَّاعةِ لا تُشاكِلوا شهواتِكم السابقةَ في جهالتِكم، بل نظيرَ القدوسِ الذي دعاكم كونوا أنتم أيضاً قدِّيسينَ في كلِّ سيرةٍ، لأنَّه مكتوبٌ كونوا قدّيسين لأنّي أنا قدوس» (١ بط ١: ١٣–١٦).

في هذا الأحد الذي يلي أحد العنصرة نقيم في الكنيسة تذكاراً لجميع القديسين، الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، ذلك لأن القديسين هم ثمرة عمل الروح القدس في الكنيسة، ونحن جميعنا أعضاء الكنيسة وكلّنا مدعوون إلى القداسة. إمكانية أن نصير قديسين معطاة لنا إذا تركنا الروح القدس الذي أُعطيناه يوم معموديتنا يعمل فينا.

اليوم هو عيد الحصاد، عيد جميع القديسين. اليوم تتويج ثمرة كل العمل الخلاصي الذي قام به ربنا يسوع المسيح من أجلنا. قبل مئة يوم ونيف دخلنا الصوم الكبير المقدس وجاهدنا، في الخمسين يوماً الأولى، روحياً مع الرب يسوع، بالصلاة والصوم والسيرة النقية والإحسان، استعداداً لاستقبال الفصح المقدس، الصليب والقيامة. ومن بعد الفصح عشنا خمسين يوماً أُخر في فرح القيامة، وتُوّجت هذه الرحلة الروحية بإرسال الروح القدس على التلاميذ يوم العنصرة. واليوم في عيد جميع القديسين نحصد ثمر عمل الرب الخلاصي الذي عشنا تفاصيله خلال المئة يوم الماضية وكل الدورة الليتورجية الكنسيّة. فالرب تجسّد وصار إنساناً وبشّر واجترح العجائب ودخل إلى أورشليم وصُلب وقُبر وقام وصعد إلى السماء وأرسل الروح القدس، لكي يعيدنا إلى الفردوس المفقود، أي بهدف أن يعيدنا إلى الحضرة الإلهية ونكون في شركة مع الله، أي أن نكون قديسين. وبما ان الروح القدس، وبحسب وعد الرب الخلاصي، يمكث معنا «إلى الأبد» (يو ١٤: ١٦) ويعلّمنا ويذكّرنا بكل شيء (يو ١٤: ٢٦) ويرشدنا إلى جميع الحق (يو ١٦: ١٣) ويقودنا في حياتنا، وهو الذي يجعل العمل الخلاصي الذي قام

العدد ٢٠١٢/٢٤

الأحد ١٠ حزيران

أحد جميع القديسين

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

أن لا يكملوا بدوننا* فنحن أيضاً إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلْقِ عنَّا كلَّ ثِقل والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابِقْ بالصبر في الجِهادِ الذي أمامنا* ناظِرينَ إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمّله يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢-٣٣، ٣٧-٣٨؛ ١٩: ٢٧-٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا به قدَّام أبي الذي في السموات* ومَن يُنكرني قدَّامَ الناس أُنكرُه أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* مَن أحبَّ أباً أو أماً أكثرَ منّي فلا يستحقُّني. ومَن أحبَّ ابناً أو بنتاً أكثرَ منّي فلا يستحقُّني* ومَن لا يأخذُ صليبَه ويتبعُني فلا يستحقُّني* فأجاب بطرسُ وقال له هوذا نحن قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنَّكم أنتم الذين تبعتموني في جيلِ التجديدِ متى جلسَ ابنُ البشرِ على كرسيِّ مجدِهِ تجلِسون أنتم أيضاً على اثنَيْ عَشَرَ كرسيًّا تدينونَ أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَر* وكلُّ مَن ترك بيوتاً أو إخوةً أو أخواتٍ أو

به الرب حاضراً في كل مكان وزمان. الروح القدس يقدّسنا إذا ما أفسحنا له المجال ليعمل فينا. لذلك من الطبيعي أن نعيِّد لجميع القديسين في الأحد بعد العنصرة. القداسة هي نتاج العمل المشترك للروح القدس وجهادنا الشخصي.

في القداس الإلهي نحيا في الكنيسة ساعة من الزمن وكأننا في الملكوت. الله برحمته، يسمح أن نتذوق طعم الملكوت من هنا، من على الأرض، كل أحد وفي كل قداس إلهي. في كل قداس نتّحد بالرب ونكون في شركة معه عندما نتناول جسده ودمه الكريمين. لأجل ذلك يقول الكاهن قبل المناولة القدسات للقديسين. هذا الكلام موجَّه إلينا نحن جماعة المؤمنين لأن دعوة كل واحد منا هي القداسة. السؤال الجدّي البسيط هو: هل نحن واعون دعوتنا؟ وهل فكّرنا جدّياً بالأمر؟ وماذا نفعل لكي نكون مستحقين أن نتناول جسد المسيح وأن ندعى قديسين؟

الكنيسة منذ لحظة ولادة الإنسان تصلّي لأجله كي يكون قديساً وتهيء له الجو المؤاتي لكي يتخرّج من هذه الحياة قديساً. عندما يولد الطفل وفي اليوم الأربعين لولادته، ويوم معموديته وميرونه، تصلي له الكنيسة «أن يكون ابناً للملكوت» و«أن يكون وارثاً للملكوت» و«أن يكون له نصيب مع مختاريه في ملكوته». وفي القداس الإلهي قبل المناولة نصلي: «... واجعلنا أهلاً لتناول أسرارك السماوية لغفران الخطايا وميراث ملكوت السموات». إذاً همّ الكنيسة أن تعيد الإنسان إلى ملكوت السموات، وكما ذكرنا تهيء له الأجواء عبر إقامة الصلوات والأسرار والخدمة الاجتماعية والتعليم الديني في الرعايا ونشاطات الطفولة والشبيبة.

الكنيسة هي «معمل» أو «مصنع» قديسين. هذه هي دعوتها، ولكن لا يمكن للكنيسة أن تعمل بالإنفصال عن العائلة والأهل. فهما يكمّلان بعضهما. فالأهل أيضاً مسؤولون عن تخرّج قديسين من منازلهم بمؤازرة الكنيسة وصلواتها. المشكلة اليوم ان بعض الأهل أضاعوا اتجاه عقرب بوصَلَتهم وصاروا يسعون أن يوفّروا لأولادهم كل شيء يضمن لهم حياة هانئة على الأرض، أما تأمين الملكوت لهم فهو في آخر سلّم الأولويات. ربما يخاف هذا البعض من الأهل أن يحاسبهم أولادهم على تصرّفاتهم لأن على الأهل أن يكونوا المثال لكي يقتدي الأولاد بهم.

هناك فكرة أخيرة يمكن طرحها في أحد جميع القديسين. عدد كبير من القديسين وخاصة الشهداء منهم الذين نعيّد لهم هم من القرون الأولى للمسيحية حيث كان إضطهاد المسيحيين في ذروته. لم يقل هؤلاء، ولا الرسل قالوا اننا أقلّية وماذا يمكننا أن نفعل. لم يهربوا أو يهاجروا، بل احتملوا الإضطهاد وشظف العيش متكلين على الرب الذي وعد بأنه يكون مع كنيسته إلى منقضى الدهر. لقد كانوا خميرة هذه الأرض التي خمّرت الكون كلّه، وكانوا ملح الأرض ولم يعيشوا في عقدة الأقلية والأكثرية. إذا كان إيمانك بالرب كبيراً فأنت كبير ولا أحد يستطيع محوك. وإذا محاك لأنك من أتباع يسوع المسيح الناصري فطوباك لأنه قد وُلد لنا قديسٌ في السماء.

أباً أو أمًّا أو امرأةً أو أولاداً أو حقولاً من أجلِ اسمي يأخُذُ مِئَة ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبديةَ* وكثيرونَ أوَّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوَّلين.

تأمل

قليلون هم الذين يأتون إلى الكنيسة، ترى ما سبب هذه الظاهرة؟ نعيّد لتذكار القديسين ولا أحد تقريباً يحضر إلى الكنيسة. يبدو أنّ المسافة تجرّ المسيحيين إلى التهاون، أو ربما ليست المسافة بل التهاون فقط يمنعهم، لأنه كما أنّه لا شيء يستطيع أن يمنع ذاك الذي لديه رغبة صالحة وغيرة على عمل ما، هكذا المتهاون والكسول والمؤجِّل أيضاً أيّ شيء يستطيع منعه.

بذل الشهداء دمهم في سبيل الحقّ وأنت تعمل حساباً لمسافة قصيرة؟ أولئك ضحّوا بحياتهم من أجل المسيح، وأنت لا تريد أن تتعب ولو قليلاً؟ مات المسيح من أجلك وأنتَ تزدري به؟ نعيّد لتذكار القديسين وأنت لا تهتم بالمجيء إلى الكنيسة مفضّلاً البقاء في بيتك؟ ولكن يجب أن تأتي لترى الانتصار على الشيطان، انتصار القديس وتمجيد الله وظفر الكنيسة.

تقول: «لكنني خاطئ ولا أجرؤ على مواجهة القديس». بالضبط، لأنك

خدمة الذبيحة

فور انتهائه من تهيئة التقدمة والذكرانيات، يغطي الكاهن الكأس والصينية المقدستين بالأغطية الشريفة المخصصة لها. عند تغطية الصينية المقدسة يقول: «الرب قد ملك والجمال لبس، لبس الرب القوة وتمنطق بها». ولكن ما معنى هذا القول، والرب هو ذو المُلك الذي لا ابتداء له ولا انتهاء، وله الجمال والقوة اللذان يفوقان كل وصف؟ لما طال ابتعاد الجنس البشري عن المملكة الإلهية، التي هي موطنه أصلاً، وتاهت الخليقة في صحراء الفراغ التي هي الخطيئة، أتى ابن الله إلى الأرض، اجتاح صحراء الفراغ، مسترداً خليقته الضالة إلى مُلكه. بمعنى آخر، حقّق وثبّت مُلكه الأزلي هنا، على هذه الأرض أيضاً، فما عادت خليقته تائهة خارج المملكة الإلهية. أما الجمال والقوة فهما جمال الجسد البشري الذي لما لبسه المسيح الإله، أعاد إليه جماله الأصلي (جمال ما قبل السقوط)، مُمنطقاً إياه بالقوة الإلهية الجديدة، قوة القدرة على غلبة الخطيئة. وعند تغطية الكأس المقدسة يقول: «غطّت فضيلتك السموات أيها المسيح الإله وامتلأت الأرض من تسبحتك». لعل أبهى تجلّيات محبة الله للبشر هي المواهب الإلهية التي يسكبها الله علينا في المعمودية المقدسة وفي القداس الإلهي. فقد صار للبشر أن يصبحوا آلهة بالنعمة وأبناء لله بالتبني وشركاء للإبن الأزلي في الميراث، وطبيعتنا البشرية كرِّمت بالجلوس عن يمين الآب، لما صعد بها الإبن الإله ظافراً. أن يسكب الخالق على المخلوق نعمته، فهذه هي الفضيلة التي تفوق السماء فضيلة. ولأجل هذا، صارت الخليقة فرحة بخلاصها فامتلأت تسبيحاً لله.

تجدر الإشارة إلى أن التقدمة تبقى مغطاة حتى تلاوة دستور الإيمان. تجسُّد المسيح شهد له الملائكة والمجوس، ومن ثم بقي التدبير الإلهي مُحتجَباً طيلة ثلاثين عاماً، حتى الظهور الثالوثي عندما اعتمد المسيح على يد السابق المجيد يوحنا المعمدان. ولأننا بتلاوتنا دستور الإيمان نعلن إيماننا بالآب الذي شهد أن هذا المعتمِد هو ابنه الحبيب، وبالإبن الذي ظهرت ألوهته عندما تجسّد متنازلاً إلى حد اقتباله العماد لكي يكمّل كل برّ، وبالروح القدس الذي دلّ عليه، يرفع الكاهن إذذاك الأغطية عن التقدمة. لقد اعتلن المسيح لنا، وابتدأ المسير إلى ساعة ذبيحة فدائه، وهي الساعة التي من أجلها أتى.

«مبارك أنت يا إلهنا يا من هكذا ارتضيت، المجد لك»، يقولها الكاهن ثلاثاً وهو يبخّر التقدمة. نقرأ في مطلع سفر التكوين أن الله بارك الخليقة: الإنسان، والكون والزمان المخلوقين من أجل الإنسان. فكان على الإنسان، طبيعياً، أن يبادل البركة الإلهية بالتسبيح والعرفان. بيد أنه استسلم للعنة الخطيئة فبادل البركة بالعصيان. إذذاك حلّت عليه اللعنة من جراء عصيانه، وليس عليه وحسب بل من خلاله على الخليقة بأسرها، وهي من أجله وُجدت أصلاً. أما المسيح، الذي هو ابن الله، فبلبسه طبيعتنا الفاسدة

خاطئ تعال إلى هنا لكي تصير باراً، أم إنك لا تعرف أنّ أولئك الذين يقفون أمام المذبح المقدس قد ارتكبوا خطايا؟ ونحن الذين نعلّمكم عن المنبر أيضاً خطأة، لكننا لا نيأس لأنّ الله محبّ للبشر ولا يكرههم، لذلك دبّر معاناة الكهنة من بعض الأهواء لكي يُدركوا الضعف الإنساني ويسامحوا الآخرين.

كم هو مؤلم أن نهرول برغبةٍ إلى الرقص واللهو، ونستمع إلى سخافات المغنين بسرور، ونتمتّع بتعابير الممثلين الفاحشة لساعاتٍ من دون أن نضجر! فقط عندما يتكلّم الله بأفواه الأنبياء والرسل نتثاءب ونتضجّر ويُصيبنا الدوار. كذلك في ميادين سباق الخيل، مع أنه لا يوجد سقف لكي يحمي المشاهدين من المطر، يركض الغالبية كالمهووسين، وحتى عندما تمطر بغزارة أيضاً لكن عندما يتعلّق الأمر بذهابهم إلى الكنيسة، فعندئذٍ يصبح المطر الغزير عائقاً بالنسبة لهم، وإن سألتهم مَن هو عاموس أو عوبديا، وكم عدد الأنبياء أو الرسل، فلا يستطيعون فتح أفواههم، لكن بالنسبة إلى الأحصنة والفرسان، والمغنّين والممثّلين يستطيعون إخبارك بكلّ تفصيل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

امتص اللعنة، أذابها في طُهره، وملأ البَشَرة التي لبسها من بركة ألوهته. هذه هي البركة التي نمتلئ منها في القداس الإلهي فتزول عنا لعنة العصيان. لأجل هذا، وباسم الكنيسة كلّها، يبارك الكاهن الله ويرفع له المجد. بديهي أننا متى نرفع المجد لله لا نزيد على مجده شيئاً، بل نستعيد حالة ما قبل العصيان، إذ نبادل بركات الله بالتسبيح ونعمته بالعرفان. الكاهن الخادم سر الشكر، سر محبّة الآب: «هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلِك كلُّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية» (يو ٣: ١٦)، يرفع البركة والمجد لله بعد إتمام التقدمة ثلاثاً، لأن الله هكذا ارتضى أن يأتي إلينا: بالإبن المتجسد، منيراً إيانا بالروح القدس. لا بد من الإشارة هنا، ولو كان الأمر بات واضحاً عبر ما سبق، أنه وإن كانت خدمة الذبيحة الإلهية متمحورة حول تجسد الإبن الإله وذبيحة فدائه، فإننا لسنا نمجّد الإبن معزولاً عن أبيه السماوي وروحه القدوس. خلاصنا تدبير ثالوثي: الآب ضحّى بابنه الوحيد عنّا، الإبن قَبِل التنازل طاعة وحبًّا، والروح أرشدنا إليه.

بعد ان تمّت خدمة تهيئة التقدمة، يرفع الكاهن يديه ويتلو بكل ورع وخشوع هذا الدعاء: «يا الله إلهنا يا من أرسلت يسوع المسيح الخبز السماوي، مخلّصاً وفادياً ومُحسناً يباركنا ويقدسنا، أنت بارك هذه التقدمة وتقبّلها على مذبحك السماوي. وبما أنك صالح ومحبّ للبشر، بارك الذين قدّموها والذين قُدمت من أجلهم واحفظنا نحن غير مدانين ...». قال المسيح إلهنا: «أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السماء، لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياةً للعالم» (يو ٦: ٣٢–٣٣). فيسوع المسيح إذاً، الذبيح هنا، هو «الخبز الحقيقي من السماء» الذي متى تناولناه يملأنا جمالاً من جماله وقوة من قوته. أي يعيدنا إلى جمالنا الأول، الذي كنا عليه قبل أن تشوّهنا قباحة الخطيئة، ومن غلبته على الموت نمتلئ حياة أبدية. أما المذبح السماوي الذي نسأل الله أن يقبل هذه التقدمة عليه، فليس بالطبع مذبحاً بالمعنى المكاني، كالمذبح الذي نهيّئ عليه التقدمة في هيكل الكنيسة.

نحن في كل قداس إلهي نحيا الملكوت من هنا، من هذه الأرض، ونشترك في مائدة الملكوت. وفي آخر القداس «نخرج بسلام» لكي نشهد للملكوت الذي عشنا فيه لردهة من الزمن ونحيا كأبناء للملكوت.

صوم الرسل

يوم الإثنين الذي يلي أحد جميع القديسين والواقع هذا العام في ١١ حزيران يبدأ صوم الرسل الذي يستمر حتى ٢٩ حزيران ذكرى القديسين هامتي الرسل بطرس وبولس، وفيه ننقطع عن أكل اللحوم والبيض ومشتقات الحليب.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb